ثم لما فرغ من تعديد الآيات التي هي بالنسبة إلى المكلفين نعم قال : { وإن تعدوا نعمة ا لا تحصوها } وقد مر تفسير هذا في سورة إبراهيم قال العقلاء : إن كل جزء من أجزاء الإنسان لو ظهر فيه أدنى خلل وأيسر نقص لنغص النعم على الإنسان وتمنى أن ينفق الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل فهو سبحانه يدير بدن هذا الإنسان على الوجه الملائم له مع أن الإنسان لا علم له بوجود ذلك فكيف يطيق حصر بعض نعم ا عليه أو يقدر على إحصائها أو يتمكن من شكر أدناها ؟ .

يا ربنا هذه نواصينا بيدك خاضعة لعظيم نعمك معترفة بالعجز عن بادية الشكر لشيء منها لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولا نطيق التعبير بالشكر لك فتجاوز عنا واغفر لنا وأسبل ذيول سترك على عوراتنا فإنك إن لا تفعل ذلك نهلك بمجرد التقصير في شكر نعمك فكيف بما قد فرط منا من التساهل في الائتمار بأوامرك والانتهاء عن مناهيك وما أحسن ما قال من قال : .

(العفو يرجى من بني آدم ... فكيف لا يرجى من الرب) .

فقلت مذيلا لهذا البيت الذي هو قصر مشيد : .

(فإنه أرأف بي منهم ... حسبي به حسبي به حسبي) .

وما أحسن ما ختم به هذا الامتنان الذي لا يلتبس على إنسان مشيرا إلى عظيم غفرانه وسعة رحمته فقال : { إن ا لغفور رحيم } أي كثير المغفرة والرحمة لا يؤاخذكم بالغفلة عن شكر نعمه والقصور عن إحصائها والعجز عن القيام بأدناها ومن رحمته إدامتها عليكم وإدرارها في كل لحظة وعند كل نفس تتنفسونه وحركة تحتركون بها اللهم أني أشكرك عدد ما شكرك الشاكرون بكل لسان في كل زمان وعدد ما سيشكرك الشاكرون بكل لسان في كل زمان فقد خصصتني بنعم لم أرها على كثير من خلقك وإن رأيت منها شيئا على بعض خلقك لم أر عليه بقيتها فأنى أطيق شكرك وكيف أستطيع بادية أدنى شكر أدناها فكيف أستطيع أعلاها ؟ فكيف أستطيع شكر نوع من أنواعها ؟